

الخطاب السردى عند ابن شهيد الأندلسى (ت ٤٢٦هـ)

دراسة في ضوء النقد الثقافى - الجملة الثقافىة مثالا

أ.م.د. حسين عبيد الشمري

الباحثة رحاب سالم حنوف

كلية الآداب/ جامعة القادسية

المقدمة:

تناول البحث الجملة الثقافىة فى الخطاب السردى عند ابن شهيد الأندلسى التى اخذت شكل التناوب فى الخطاب السردى القرآن والشعر والامثال والأقوال الحكمية. وقد قسم البحث الى تمهيد وثلاثة مباحث . فكان التمهيد بعنوان (دراسة فى تأصيل المصطلحات) اشتمل على قسمين ، بحث القسم الأول فى مفهوم الخطاب السردى ، واشتمل القسم الثانى من التمهيد على النقد الثقافى ومقولاته .

فجاء المبحث الأول بعنوان (الجملة الثقافىة القرآن الكريم)

فى حين جاء المبحث الثانى باسم (الجملة الثقافىة الشعر)

وجاء المبحث الثالث بعنوان (الجملة الثقافىة الأمثال والأقوال الحكمية)

التمهيد: دراسة فى تأصيل المصطلحات:

أولاً / مفهوم الخطاب السردى:

لعله من المجدى أن نقف أولاً عند مفهوم الخطاب السردى فى إطاره العام ، إذ تعددت دلالات السرد وتتوعت مفاهيمه انطلاقاً من أصله اللغوى " تقدمه شىء إلى شىء تأتى به متسقاً بعضه فى إثر بعض متتابعاً ، ويقال : سَرَدَ الحديث ونحوه يسرده سرداً إذا تابعه ، وفلان يسرد الحديث سرداً إذا تابعه ، وفلان يسرد الحديث سرداً إذا كان جيد السياق له "^(١)، أى انك تجعل رواية الحديث متتابعة مترابطة ومتسقة وهذا هو أحد شروط السرد الجيد، فالسرد يعنى التتابع والحبكة والاتساق.

والسرد هو فعل يقوم به الراوي الذي ينتج القصة ، وهو فعل حقيقي أو خيالي ثمرته الخطاب ، ويشمل السرد، على سبيل التوسع، مجمل الظروف المكانية والزمنية، الواقعية والخيالية ، التي تحيط به. فالسرد عملية انتاج يمثل فيها الراوي دور المنتج ، والمروي له دور المستهلك ، والخطاب دور السلعة المنتجة ، فتتعدد العلاقة بين الراوي والمروي له في السرد من خلال الاسئلة المباشرة أو غير المباشرة ، فالسرد هو الخيارات التقنية (والابداعية) التي يتم من خلالها تحويل الحكاية إلى قصة فنية ، وهو يشمل الراوي والمنظور الروائي وترتيب الأحداث^(٢) ، فإنه يركز ضمناً على الخطاب السردى وكيفية عرض المسرود وبنائه أكثر مما يركز على مادته فيكون المهم هو الصناعة السردية شروطها وأدواتها و المبنى أكثر مما هو المسرود في حد ذاته ، فيجعل الصناعة السردية هي الركيزة الأساسية في الخطاب.^(٣)

والسرد هو خطاب لفظي يعمل على نقل الوقائع والحوادث ويخبرنا عنها ، أي أنه عملية سردية يعتمد على ثنائية القصة / الخطاب، أي المعنى/ المبنى . وفي التمييز بين القصة والخطاب ، وقد حدد تودروف ثلاثة جوانب مركزية لمستوى التحليل وهي :

١- الجانب الدلالي .

٢- الجانب اللفظي .

٣- الجانب التركيبي.^(٤)

لقد عرف الخطاب في السردية على أنه نصّ الرواية ، وهو يتحدد بمادته (كلام أو كتابة) وشكله جمل متلاحقة ذات ترتيب مقصود تعرض حالات ومواقف وأحداثاً ، وهذا العرض محكوم بوجهة نظر الراوي وبسرعة السرد والخطاب كنص روائي يتأثر بمستويات السرد : فهناك خطاب الراوي ، وخطاب الشخصيات ، فالراوي يمكن أن يكون حاضراً في النص كجزء من الحكاية أي مجرد راوٍ لها يعمل الراوي على نقل كلام الشخصيات بأشكال مختلفة المتمثلة بالخطاب المباشر والخطاب غير المباشر ، والخطاب المسرود ، والخطاب غير المباشر الحر^(٥)، والخطاب السردى هو الشكل الأمثل لتجسيد عملية السرد ولا بد من التفريق فيه بين الخطاب الحقيقي والخطاب التخيلي وتحديد مكونات كل منهما :

فمكونات الخطاب الحقيقي هي: كاتب — نص — قارئ.

أما مكونات الخطاب التخيلي : سارد — مسرود — مسرود له .

ترتبط مكونات كل من هذين الخطابين بعلاقات متشابكة يتأمر عليها الكاتب والراوي لتشييد البنية السردية ، وصناعة الخطاب السردى المعتمد على المنظومة اللغوية كما يجسد عملية السرد فى نص روائى هو إنتاج ابداعى فنى لحكاية المتن " (٦).

تبحث السردية فى مكونات البنية السردية للخطاب من راوٍ ومروي و مروي له ، ولما كانت بنية الخطاب السردى نسيجاً قوامه تفاعل تلك المكونات ، أمكن التأكيد على أن السردية هى المبحث النقدى الذى يُعنى بمظاهر الخطاب السردى أسلوباً ، وبناء ودلالة (٧).

وقد عرف سعيد يقطين السرد : " بأنه فعل لا حدود له ، يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية ، يبدعه الإنسان اينما وجد وحيثما كان" (٨).

والخطاب السردى هو خطاب مكون من لحظات سردية ووصفية وحوارية ، حيث يمزج الواقعى بالمتخيل والحقيقى بالمتخيل ، ولكن الاسلوب يختلف باختلاف البنية الخطابية المستعملة فقد تكون جملة بسيطة أو نصاً معقداً باعتبار النص عبارة عن وحدة بنيوية من وحدات الخطاب تحتل أعلى مرتبة فى سلمية التعقيد باعتبارها مجموعة جمل (٩).

نستنتج من أن السرد يعنى التتابع والترابط والاتساق وهذه شروط السرد الجيد ، والخطاب السردى يتكون من لحظات سردية و وصفية وحوارية يعمل على مزج الواقعى بالمتخيل وكذلك الحقيقى بالمتوهم .
ثانياً / النقد الثقافى ومقولاته:

يرتبط مفهوم النقد الثقافى بمفهوم الثقافة وذلك لوجود علاقة وثيقة بينهما ومصطلح الثقافة عام وواسع فى دلالاته اللغوية والاصطلاحية ويختلف من حقل معرفى إلى آخر، ومفهوم الثقافة هو من المفاهيم الغامضة فى الثقافتين الغربية والعربية على حد سواء ووفقاً لتعدد مفاهيم المصطلح الثقافة انعكس ذلك على النقد الثقافى (١٠).

ومن هنا تعددت مفاهيم الثقافة بين العلماء، كل حسب رؤيته لها من خلال الفكر الذي يبحث فيه، وفيما يأتي آراء العلماء :

لقد عرف تايلور الثقافة في كتابه (الثقافة البدائية) على أنها: " ذلك الكل المركب الذي يضم المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع ".^(١١) أي ان الثقافة تعني مجموع الحقائق الاجتماعية التي يكتسبها الإنسان عن طريق المعرفة أو المعتقد أو العادات وغيرها.

وعرف (ت-س- اليوت) الثقافة إذ يقول : " إنها تختلف ارتباطات كلمة الثقافة بحسب ما نعنيه من نمو فرد ، أو نمو فئة أو طبقة ، أو نمو مجتمع بأسره وجزء من دعوا ، أي ان ثقافة الفرد تتوقف على الفئة أو الطبقة ، وبناء على ذلك فإن ثقافة المجتمع هي الأساسية"^(١٢).

أمّا مالك بن نبي فقد عرّف الثقافة بأنها: " مجموعة من الصفات الخلقية ، والقيم الاجتماعية ، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته ، تصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه ".^(١٣)

وترى الباحثة من خلال عرضها لتلك الآراء السابقة عن مفهوم الثقافة لدى كل من تايلور و ت-س- اليوت ومالك بن نبي فالثقافة تعني بهذا الصفات الخلقية أي بمعنى كيف تؤثر أخلاق الفرد في المعرفة الانسانية و المعتقدات والفنون الاعراف والعادات والقدرات الخاصة .

فالدراسات الثقافية والنقد الثقافي مصطلحان متداخلان يدلان تحديدا على الدراسات التي تشتغل بصورة مركزة على تفكيك البنى الثقافية وتحديث علاقاتها والإحاطة بأنساقها ومهيمنات إنتاج المعاني الايديولوجية وتشريح الايديولوجي /المؤسساتي وكشف السياقات الثقافية والسياسية والاجتماعية ومعرفة مرجعيات الخطاب الثقافي ، فالفرق بين الدراسات الثقافية والنقد الثقافي هو كالفرق ما بين الدراسات الأدبية والنقد الأدبي ، فمصطلح الدراسات الثقافية يطلق احيانا على مجمل الدراسات الوظيفية والتحليلية والنظرية

والنقدية ، أمّا مصطلح النقد الثقافي فهو يشير إلى هوية المنهج الذي يتعامل مع النصوص والخطابات الأدبية والجمالية والفنية فيحاول استكشاف أنساقها المضمرة غير الواعية.^(١٤)

ثم يهدف النقد الثقافي إلى كشف العيوب النسقية التي توجد في الثقافة والسلوك بعيداً عن الخصائص الجمالية والفنية ، ويعمل النقد الثقافي على كشف الانساق وتعرية الخطابات المؤسساتية، والتعرف على أساليبها في ترسيخ هيمنتها، وفرض شروطها على الذائقة الحضارية للأمة.^(١٥)

ويدرس النقد الثقافي الأدب الفني والجمالي باعتباره ظاهرة ثقافية مضمرة ، بمعنى انه يعمل على ربط الأدب بسياقه الثقافي غير المعلن ، ومن ثم لا يتعامل النقد الثقافي مع النصوص والخطابات الجمالية والفنية على أنها رموز جمالية ومجازات شكلية موحية، بل على أنها أنساق ثقافية مضمرة تعكس مجموعة من السياقات الثقافية التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية والقيم الحضارية ، فالنقد الثقافي لا يتعامل مع الأدب الجمالي باعتباره نصاً جمالياً بل على اعتباره نسقاً ثقافياً يؤدي وظيفة نسقية مضمرة أكثر مما هي معلنة.^(١٦)

لقد حظيت الدراسات الثقافية بمساحة عريضة من الاهتمام إذ شكّلت خلفية معرفية لكثير من الدراسات والعلوم الانسانية كعلم الاجتماع ، والانثروبولوجيا ، وعلم النفس والتاريخ والفلسفة وغيرها ، غير أنها ابتدأت منذ عام ١٩٦٤م ، وذلك منذ تأسيس مجموعة برمنغهام في انكلترا تحت مسمى مركز برمنغهام للدراسات الثقافية المعاصرة^(١٧)، اشار مؤسسها (هوغارت) وهو أول رئيس لمركز برمنغهام بوضوح إلى مصادرهم النظرية محدداً اياها بثلاثة مصادر هي تاريخية وفلسفية اولاً وإلى حدّما سوسيولوجية ، وأخيراً أدبية نقدية.^(١٨)

يرتبط تاريخ النقد الثقافي بمدرسة فرانكفورت والذي ميز المشروع النقدي عن المدارس المنافسة المعاصرة. والذي كان حجز الزاوية له ربط الخيال الأدبي بالوجود الاجتماعي عن طريق النقد الثقافي، وقد كانت الرابطة الوثيقة بين النقد والثقافة ممكنة وجوهريّة عند كتاب نيويورك ، لأن الأدب يعكس التجربة وقد تظافت علوم مختلفة كعلم الاجتماع والتاريخ والأخلاق والسياسة ليجعل من الممارسة مثقفي نيويورك

طريقة مميزة خلال الفترة المبكرة لما بعد الحرب^(١٩)، واتسمت مدرسة فرانكفورت بالنقد الثقافي والذي يوصف باسم النقد الاجتماعي وقد استعملت مفهومي المجتمع والثقافة كمفهومين مترادفين.^(٢٠)

أمّا النقد الثقافي في فرنسا فقد ظهرت مدرسة جديدة في فرنسا في النصف الثاني من القرن العشرين والتي استخدم أصحابها مناهج العلوم المختلفة مثل التحليل النفسي والاجتماعي والدراسات الانثروبولوجيات من أجل تغير وتحليل النص الأدبي أو العمل الفني وربطه بالظواهر والظروف التاريخية . ومن ابرز النقاد الذين ظهوروا في فرنسا: رولان بارت، كلود ليفي شتراوس، ميشيل فوكو، لويس التوسير، جاك لاكان، بيير بورديو ، جاك دريدا، أ. خ . غريماس.^(٢١)

لقد عدّ الناقد الامريكى (فنسنت ليتش) من ابرز النقاد الغربيين الذين حددوا مصطلح النقد الثقافي في مرحلة ما بعد البنيوية ".^(٢٢)

يعمل النقد الثقافي على بيان الابعاد الاجتماعية والتاريخية لنص معين ، ومدى تفاعله مع الثقافة، كما يربط بين البنية اللفظية والوضع الاجتماعي والفكري ويعتبر النقد الثقافي بحسب آثرابرجر ... " نشاطاً وليس مجالاً معرفياً خاصاً بذاته وأن نقاد الثقافة يطبقون المفاهيم والنظريات على الفنون الراقية والثقافة الشعبية والحياة اليومية وعلى حشد من الموضوعات المرتبطة بأن نقاد الثقافة يأتون مجالات مختلفة ويستخدمون افكاراً ومفاهيم متنوعة ".^(٢٣)

عرفَ عبد الله الغدامي النقد الثقافي بأنه: " فرع من فروع النقد النصوسي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية معنيّ بنقد الأنساق المضمرّة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغته، ما هو غير رسمي مؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء، من حيث دور كل منهما في حساب المستهلك الثقافي الجمعي، وهو لذا معني بكشف لا الجمالي ، كما هو شأن النقد الأدبي، وإنما همه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي / الجمالي ".^(٢٤)

تتمثل مميزات النقد الثقافي عند عبد الله الغدامي بأن النقد الثقافي أحد علوم اللغة، واستبدل النقد الثقافي محل النقد الأدبي والبلاغي ما هو رسمي. تركيزه على أنظمة الخطاب الثقافي ونقده للأنساق المضمرّة .

ولا يجوز القول بأن النقد الثقافي معني بدراسة الانساق المضمرة فقط وإنما هو على العكس من ذلك فإن النقد الثقافي يدرس الانساق المضمرة وكذلك الظاهرة وتعتبر الانساق الظاهرة وسيلة للكشف عن الانساق الظاهرة.

يطرح فنسنت ليتش مصطلح النقد الثقافي مسمى مشروع النقدى بهذا الاسم تحديداً، حيث جعله رديفاً لمصطلحي ما بعد الحداثة أو ما بعد البنيوية. (٢٥) وتتمثل خصائص النقد الثقافي عند ليتش بما يلي:

١- لا يؤطر النقد الثقافي فعله تحت أطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي، بل يفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة، وإلى ما هو غير جمالي في عرف المؤسسة سواء كان خطاباً أم ظاهرة .

٢- من سنن هذا النقد أن يستفيد من مناهج التحليل العرفية من مثل تأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية ، إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي النقدي والتحليل المؤسساتي.

٣- إن الذي يميز النقد الثقافي ما بعد البنيوي هو تركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوي، كما هي لدى بارت ودريدا وفوكو خاصة في مقولة يصفها ليس ما بعد البنيوي ومعها مفاتيح تشريح النصوص عند بارت ، وحفريات فوكو. (٢٦)

أمّا النقد الثقافي عند محسن جاسم فهو يرى بأن النقد الثقافي: " عبارة عن فاعلية تستعين بالنظريات والمفاهيم والنظم المعرفية لبلوغ ما تأنف المناهج الأدبية لمحض من المساس به أو الحوض فيه إذ كيف يتسنى للناقد الأدبي أن يخوض في المبتذل والعادي والوضيع واليومي والسوقي بعدما تمهر كثيراً في قراءة النصوص المنتقاة والمنتجة التي يتناقلها نقاد الأدب على مر العصور ". (٢٧)

يتناول النقد الثقافي النص الأدبي " كجزء من سياق تاريخي يتفاعل من مكونات الثقافة الأخرى من مؤسسات ومعتقدات " (٢٨)، فيتجه مشروع النقد الثقافي إلى كشف حيل الثقافة في تمرير أنساقها تحت أقنعة البلاغي الجمالي وسائل خافية". (٢٩)

وفي ضوء الانتقال إلى الوعي العربي يدخل الابداع دائرة الثقافة بوصفه صناعة فقد حمل المصطلح عند ابن سلام الجمحي معنى الاتقان إذ يقول " وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات: منها ما تتقفه العين ومنها ما تتقفه الأذن". (٣٠)

ومن النقاد العرب الذي اهتموا بالنقد الثقافي الدكتور عبد النبي اصطيف في كتاب (نقد ثقافي أم نقد أدبي) والذي احتوى سجلاً نقدياً كشف عن التباعد بينه وبين الغدامي واختلاف وجهة نظريهما في النقد الثقافي وأهم تلك الاختلافات هي التي دارت حول موقف النقد الثقافي من النقد الأدبي وقد أعلن الغدامي موت النقد الأدبي وحلول النقد الثقافي مكانه ، بينما يرى اصطيف إن النقد الأدبي لا يمكن أن يموت (٣١)، فالخطاب الثقافي " لا يتحقق وجوده بانفصامه عن جماليات اللغة والمعنى في النصوص الشعرية ، وإنما يكتسب صفته الثقافية بفعل السياقات الجمالية والقيم الاجتماعية المنصهرة فيه". (٣٢)

وايضاً من العرب المهتمين في النقد الثقافي " الدكتور حفناوي بعلي في كتابه (مدخل إلى نظرية النقد الثقافي المقارن) و الدكتور صلاح قنصوه في كتابه (تمارين في النقد الثقافي) والدكتور محسن جاسم الموسوي في كتابه (النظرية والنقد الثقافي) الذي يتحدث عن اثر فعل الثقافة في المجتمع ، و يوسف عليما في كتابه (جماليات التحليل الثقافي)". (٣٣)

وفقاً لما تقدم يعد النقد الثقافي نشاطاً وليس مجالاً معرفياً معني بنظرية الانساق المضمرة. ومن هنا تعددت التعريفات حول مفهوم الثقافة كل حسب رؤيته والفكر الذي يبحث فيه.

مثلت الدراسات الثقافية المفهوم الأوسع والأشمل والتي يندرج تحت مظلتها كل من النقد الثقافي والأنساق الثقافية فالفرق بين الدراسات الثقافية والنقد الثقافي هو أن مصطلح الدراسات الثقافية يطلق على مجمل الوظيفة التحليلية والنقدية وغيرها اما مصطلح النقد الثقافي فهو يشير الى هوية المنهج الذي يتعامل مع النصوص.

مدخل:

ذهب الدكتور عبد الله الغدامي إلى أن الجملة على ضربين: نحوية حاملة للدلالة الصريحة ، وأدبية حاملة للدلالة الضمنية، وعليه فالدلالة النسقية بحاجة إلى جملة ثقافية يكون قوامها التشكيل الثقافي المنتج للصيغ التعبيرية المختلفة. (٣٤)

فإن كل نوع من أنواع الدلالات السالفة يرتبط بمعين من الجمل ، فالدلالة الصريحة ترتبط بالجملة النحوية ومثلتها الضمنية فإنها ترتبط بالجملة الثقافية، من حيث انها تمس الذبذبات الدقيقة للتشكل الثقافي والثقافة هنا بمعناها الانثروبولوجي آليات الهيمنة والسيطرة وسبل تحققها كما عند غيرتز Geertz وليس مجموع العلاقات والتقاليد^(٣٥)، فالدلالة النسقية هي من اللازم أن نستعين بمفهوم خاص للجملة، فإذا كانت الدلالة الصريحة تستند إلى الجملة النحوية، والدلالة الضمنية تنشأ عن الجملة الأدبية، فلا بد لنا من تصور خاص يسمح للدلالة النسقية بأن تتولد، وهذا ما يسمى بالجملة الثقافية، و" الجملة الثقافية هي المقابل النوعي للجمتين النحوية والأدبية بحيث نميز تميزاً جوهرياً بين هذه الأنواع ، من حيث إن الجملة الثقافية هي مفهوم يمس الذبذبات الدقيقة للتشكل الثقافي الذي يفرز صيغه التعبيرية المختلفة".^(٣٦) والجملة تأتي على ثلاثة أنواع: (٣٧)

١. الجملة النحوية ، المرتبطة بالدلالة الصريحة .
 ٢. الجملة الأدبية ذات القيم البلاغية والجمالية المعروفة .
 ٣. الجملة الثقافية المتولدة عن الفعل النسقي في المضمير الدلالي للوظيفة النسقية في اللغة.
- وبناء على مقولة الدكتور عبد الله الغدامي في أن " الجملة الثقافية هي القول الذي يمتلك طاقة تعبيرية كاشفة للمضمير الثقافي وموجهة له".^(٣٨)
- والجملة الثقافية ليست " عدداً كمياً إذ قد نجد جملة ثقافية واحدة في مقابل ألف جملة نحوية أي ان الجملة الثقافية هي دلالة اكتنازية وتعبير مكثف"^(٣٩)، تقوم بمهمة "التحكم بالسلوك".^(٤٠)

يتضح لنا من خلال كلام الناقد عبد الله الغدامي وعبد النبي اصطيف بأن الكشف عن المضمرات النسقية والتعبير عنها وهذه الجملة قد تطول لتصبح مقطعاً شعرياً ، ولكن في مقابل ذلك قد تكون قصيرة

أي شبه جملة، بمعنى أن الثقافة التي تكشف عن سر النص، تمتلك دلالة مضمرة غير صريحة وكذلك ليست ضمنية ، فالدلالة المضمرة تكون متوارية عن الأنظار قادرة على الاختفاء .

وعندما جاء د. سمير الخليل اقترح تسمية اخرى لاتجاه الجملة الثقافية وهي (التهريب النسقي) " وهو مفهوم يمس الذبذبات الدقيقة للتشكل الثقافي الذي تفرز صيغه التعبيرية المختلفة وبهذا تكون (الجملة الثقافية) متولدة عن الفعل النسقي في المضمرة الدلالي الوظيفية النسقية في اللغة".^(٤١)

فالتهريب النسقي " يخرج في وعي الكاتب حين يكتب في كثير من الأحيان يمكن أن نصطلح عليها (الموروث الثقافي) أو (التراكم المعرفي)، كما تنبه بارسونز لموضوعات والعناصر التي تنتمي للزمن الحاضر ، بل يمتد للماضي أيضاً: حيث يتجاوز حدود المرئي والمعاش ، إلى نطاق المسموع والمنقول والمختل فالاستدماج يجعل من السمات والنماذج المكتسبة جزءاً ملازماً لسلوك الشخص والأداء المتطابق مع هذه النماذج ، بالإضافة إلى الحساسية المرهفة من جانب الفاعل حيال كل ما هو مستدمج".^(٤٢)

كما ذهب علماء النص ومحللو الخطاب إلى أن الخطاب لديهم من وجهة لسانية " نص محكوم بوحدة كلية واضحة ، بحيث يتألف من صيغ وجمل مترابطة منسجمة ومتوالية ، تصدر عن المخاطب الذي يود تبليغ الخطاب وإيصاله إلى المخاطب".^(٤٣)

يعتمد النقد الثقافي على التمييز المنهجي بين ثلاث جمل رئيسة، وهي: الجملة النحوية ذات المدلول التداولي، والجملة الأدبية ذات المدلول الضمني والمجازي والايحائي، والجملة الثقافية التي هي حصيلة الناتج الدلالي للمعطى النسقي وكشفها يأتي عبر العنصر النسقي في الرسالة، ثم عبر التصور مقولة الدلالة النسقية وهذه الدلالة سوف تتجلى وتتمثل عبر الجملة الثقافية ، والجملة الثقافية هي الهدف والمرمى انها تعني باستكشاف المنطوق الثقافي ، وتحصيل المعنى السياقي الذي يحيل على المرجع الثقافي الخارجي.^(٤٤)

المبحث الأول: الجملة الثقافية/ القرآن الكريم:

تمثل الآيات القرآنية خطاباً دينياً بصورة خاصة والمجتمع بصورة عامة، وهي أكبر دليل وحجة ومصادقية متبعة .

وقد جاءت الآيات القرآنية في الخطاب السردى عند ابن شهيد الأندلسي بأساليب متنوعة:

أ . منها ما جاء بصورتها الحقيقية في الرسم القرآني بنفس اللفظ والمعنى فأنها تأتي مع النص وكأنها من جنسه:

والآيات القرآنية الكريمة التي جاءت مناسبة مع الموضوع والسياق النصي، الواردة في (خطابه السردى)، كما في قول الباري جلّت قدرته: ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناهم نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴾ (٤٥).

جاءت هذه الآية في سياق تعرض فيه ابن شهيد الأندلسي من لدن أحدهم لأمر كانوا يقومون بها مع الوزير فأتى بهذا النص القرآني المقدس في هذا الموقف.

كما قال ابن شهيد: " ولم يزل يسعى لإفساد تلك النيات حتى فسدت وانتقضت ، وزاد في إفساد الضمائر، ورام التدبير من غير طرُق الأكاير ، حتى تلف، وكانت العاقبة ما عاينت، والمغبة ما شاهدت ، ولقد سألتني أبو جعفر ، أن ينفرد ذات يوم بأكبر وزيرين عندنا ، ووجهني فيها وحضرا ، فنفت هذا الساحر فانصرفا، فخاطبته بأبيات أقول فيها :

هَلْ سَتَرَتِ الشَّيْنِ بِالزَّيْنِ من قبل إحضار الوزيرين ؟

وما كان هذا القردُ أهلاً لأن يُحمَلَ عليه حرّ كَلَامٍ ، ولا ليرمى بفضل بيان . وبالحرّ أن يرّم على عَنَبَةٍ دُكَّانٍ، أو يُصوّر على باب حَمَامٍ، وقد غُرِسَ في وجعائه رأسُ نخلة ، وحي في سَعَفِهَا عُشُّ نَحْلَةٍ ؛ أو يُنقَشَ في خاتمِ قِيمَارٍ، وقد علاه خنزير ، وعُطِسَ مُسْتَنجَاهُ بِإِبْرَةِ زُنْبُورٍ، فإنه بقيّةٌ من بني إسرائيل الذين استحلوا الحرام، واجترحوا السيئات والأنام؛ فلما عتوا عما نهوا عنه، قيل لهم كونوا قردة خاسئين ، فجعلت نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين". (٤٦)

هذا خطاب ديني موجه لليهود الذين ما زالوا يسعون إلى افساد النفوس والضمائر ويعملون السوء فوجه لهم خطاباً دينياً فيه تحذير فقد قيل لهم كونوا قردة صاغرين مبعدين عن مجتمعكم ذليلين بتنكيس خلقكم ، وهذه عقوبة كبيرة مناسبة لخبث نفوسهم وسوء طريقتهم الملتوية واستخفافهم بحساب الله سبحانه وتعالى ، وموعظة يتعضون بها فلا يعملون بمثلها خوفاً من يصبهم ما أصابها هؤلاء .^(٤٧)

لقد وظف الكاتب النص القرآني في خطابه السردى امتداداً للجملة الثقافية وتقوية للمعنى .

ب - احياناً نجد اللفظ والمعنى متعاقبين اي اننا نجد لفظاً يوحي أو يحيل معناه على آيات ، ومرة اخرى نجد الآية دون لفظها اي من خلال الاشارة أو الايحاء ، وذلك ما ورد في خطابه السردى اذ يقول :

" ولما استطرد طيب هذا المساق ، وارفصّ كلمه كالماء المهرق ، وخفق جناح العشق المذكور، وتدحرج وصفه كاللؤلؤ المنثور، تحركت لي أطراب " .^(٤٨)

نلاحظ توظيف الكاتب للفظ (اللؤلؤ المنثور) يمثل جملة ثقافية فيها اشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً ﴾ .^(٤٩)

لقد عمل الكاتب على تحويل التعبير القرآني ليجعله مناسباً لخطابه السردى وكان هذا التوظيف مقصوداً فهو يريد ان يبين قدرته وموهبته في تحويل التعبير القرآني حيث يقع خلف تحويل الخطاب القرآني وظيفه نسقية هي خدمة خطابه السردى ودعمه بالحجج القرآنية واظهار قدرته وموهبته .

وظف ابن شهيد عبارة اللؤلؤ المنثور فكان متحدث شاعراً أو ناثراً كان كلامه جميل ضمير في ابن شهيد العشق فأطرب والنسق المضمير هو الطرب والارتياح .

ج - احياناً يتناول الكاتب / السارد قصة قرآنية أو تأتي الآيات القرآنية في شكل استشهاد بطرق متعددة تتجاوز الدلالات والمعاني القرآنية ، حيث لجأ ابن شهيد الى استحضار مواقف قصصية، قائلاً : « قلتُ : ليس هو من شأنهم، إنما هو من تعليم الله تعالى حيث قال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عِلْمَهُ الْبَيَانَ ﴾^(٥٠) . ليس من شِعْرِ يُفَسَّرُ ، ولا أرض تكسّر . هيهات، حتى يكون المسك من أنفاسك " .^(٥١)

قام الكاتب بتوظيف معاني قرآنية ، اكتسبها من الموروث الثقافي فجاءت الجملة الثقافية بدلالات نسقية تعارف عليها المجتمع لما لها من أهمية في النسق، إذ سلط الضوء من خلال جملة (انما هو من تعليم الله تعالى) كونها تشكل محوراً مركزياً عند الكاتب فهي تعد عموداً فتنفعه ولذلك قام الكاتب برصف الكثير من النصوص والمعاني والالفاظ القرآنية، ووظف الكاتب النص القرآني في خطابه السردى امتداداً لجملة ثقافية وتدعياً لرأيه ولكي يثبت بأن البيان هبة من الله ، يعلمه لمن يشاء من عباده .

تداخلت نصوص قرآنية مختارة، عن طريق الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم مع خطابه السردى ... بحيث تتسجم هذه النصوص مع السياق وتؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً، فالشعراء والمبدعون ينهلون من القرآن الكريم ليعيدوا كتاباتهم في نصوصهم لأن النصوص القرآنية نصوص عالقة في ذاكرة المبدعين لأنها نصوص متميزة إضافة الى القصص التي استحضرها الكاتب فيوظفها في خطابه السردى بعد أن يعيد تشكيلها وفق ما يلاءم تجربته^(٥٢).

وقال ابن شهيد الأندلسي في موضع اخر :

" قالت: أقسم أن الله ما علمك الجدل في كتابه ، قلت محمول عنك أم خفيف ، لا يلزم الإوز حفظ أدب القرآن ، قال الله عز وجل في محكم كتابه حاكياً عن نبيه إبراهيم (عليه السلام) : ﴿ربي الذي يحي ويميت قال أنا احيى واميت﴾^(٥٣)، فكان لهذا الكلام من الكافر جواب ، وعلى جوابه مقال ، ولكن النبي (عليه السلام) لما لاحت له الواضحة الفاطعة ، وأخرب عن الكلام الأول، قال: ﴿فأن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر﴾^(٥٤)، فأهتزت من جانبها وهمت بالطيران ".^(٥٥)

جاء الكاتب بالنص القرآني (ربي الذي يحي ويميت قال أنا احيى واميت) لكي يثبت للإوزة بأن الجدل وارد في كتاب الله ، كما اراد أن يثبت مرة أخرى قدرته على المناظرة والنص القصصي الذي وظفه ابن شهيد الأندلسي هو قصة النبي إبراهيم (عليه السلام) وهذه النصوص امتداداً لجمل ثقافية ورُقياً بالأسلوب وتدعياً لرأيه ولتقوية المعنى فقام بتوظيف النص القصصي للنبي ابراهيم (عليه السلام) مع النمرد ، والغاية من توظيف تلك النصوص القرآنية لكي يساعد في التعبير عما يريد تحقيقه ولكي يبين قدرته

وموهبته الأدبية والثقافية وقد شكل هذا نسقاً ثقافياً استمد منه ابن شهيد الأندلسي ثقافته ، فالكاتب وظف النصوص القرآنية امتداداً لجملة ثقافية ورُقياً بالأسلوب وتدعيماً للرأي .

قال ابن شهيد الأندلسي في رسالته التي خاطب بها صديقه أبا بكر بن حزم قائلاً :
"حيث لمحت صاحبك الذي تكسبته ورأيتَه قد أخذ بأطراف السماء ، فألق بين قمرِها ونظم فرقيدها فقلت :
كيف أوتي الحكم صبيّاً ، وهز بجذع نخلة الكلام فاسقط عليها رطباً جنيّاً " .^(٥٦)

لقد وظف ابن شهيد الأندلسي نصاً قصصياً في خطابه السردى فوظفه توظيفاً جديداً غير المتعارف عليه في قوله (وهزّي اليك جذع ...) ومعنى الجذع في هذه الآية هو ساق النخلة وهو الشجر المعروف ، وكان ميتاً بلا رأس يابساً في أيام الشتاء لا يثمر وكلمة (هزّي) في الآية القرآنية بمعنى حرّكي ذلك الجذع ، وهذا النص القصصي مستمد من قوله تعالى : ﴿وهزّي إليك جذع نخلة تساقط عليك رطباً جنيّاً﴾^(٥٧) ، ولكن ابن شهيد استعمل توظيفاً آخر غير المتعارف عليه ، اي انه استعمل توظيفاً ثقافياً يحمل نسقاً مضمراً فجعل ابن شهيد الأندلسي النخلة نخلة كلام من حيث انه اظهر طاقاته وموهبته وقدرته البلاغية وبراعته في تطويع الصورة القرآنية والتي اختفت خلف الصورة البلاغية التي وظفها ابن شهيد الأندلسي لكي تسهم تلك المخيلة في الكشف عن صور التوظيف والربط بينهما .

وخلاصة القول الى إنّ ابن شهيد الأندلسي رصف الكثير من النصوص القرآنية في خطابه السردى امتداداً لجملة ثقافية ورُقياً بالأسلوب وتدعيماً لرأي كما انها تعد دليلاً وشاهداً على قدرته وتفوقه الأدبي وابداعه .

وقد كان الشاهد القرآني حاضراً في الخطاب السردى عند ابن شهيد الأندلسي ولا سيما الجملة الثقافية .
لقد جاءت هذه النصوص مع نصوص أوسع نثراً ، مسبوكة بتناغمها الايقاعي والموسيقي النصّي ، تحسسك بالشعور القرآني ، فالخطاب الديني يتميز " بنظام توصيلي لفظي وغير لفظي جاء به مراعاة لطبيعة الذات أو خصوصيتها البيانية التي شكلت جزءاً من تركيبها الفكرية ، إذ إنّ التعالي الأسلوبى حتم مباغتتها بنظام في القول يتعالى على خطابها ويسمو جمالياً " .^(٥٨)

لقد ابدع ابن شهيد الأندلسي في توظيف الجملة الثقافية وتكثيف المعنى فيها ، ليثبت من خلالها ابداعه وعبقريته وطاقاته وكذلك لتحقيق مكانته ودعمه بالأدلة القرآنية وتقوية المعنى .

المبحث الثاني: الجملة الثقافية/ الشعر:

يمثل الشعر "مرجعاً ثقافياً كما له من أهمية كبيرة، فهو قبل ان يكون شاعراً لا بد وأن يكون قرأً وحفظاً أشعاراً لسابقه ومعاصريه، هذا ما يجعل بعضاً من تلك الأشعار عالقة في ذاكرته واحياناً تخرج في غير وعي الكاتب"^(٥٩).

فالشعر جملة أدبية ثقافية، شكلت طابعاً فكرياً لدى متلقيها، بأن تلقى عليهم بلا تضمينها وإدخالها مع بعض متلقيها، ولكن هذا لا ينفي أنها تتناص جملاً ثقافية ودينية واجتماعية فلسفية وهذه الأشعار لا يأتي بها من أجل أشغال فراغات بل هناك وظيفة نسقية مضمرة حيث استحضر الأشعار لتكون حجة مؤكدة على كلام ابن شهيد ولكي تجذب انتباه المتلقي وتثيره .

نلاحظ أن الكاتب/ السارد جاء بالأمثلة الشعرية الواردة في ثنايا خطابه السردى وذلك من أجل دعم خطابه بالحجج الأدبية الشعرية الأكثر تداولاً لغرض إثارة عنصر التشويق والدهشة والأعجاب في المتلقي ومنها ما ورد في خطابه السردى عندما التقى (بصاحب ابي الطيب) قائلاً:

" فقال لي زهير: ومن تريد بعد؟ قلت له: خاتمة القوم صاحب ابي الطيب ، فقال : اشدد له حيازيمك، وعطر له نسيمك، وانثر عليه نجومك. وأمال عنانَ الأدهم إلى طريق فجعل يركضُ بنا، وزهير يتأمل آثار؟ قال: هي آثار فرس حارثة بن المغلس صاحب أبي الطيب، وهو صاحبُ قنص . فلم يزل يتقراها حتى دفعنا إلى فارس على فرسٍ بيضاء كأنه قضيب على كثيب، وبيده قناةٌ قد أسندها إلى عنقه، وعلى رأسه عمامةٌ حمراء، قد أرخى لها عذبة صفراء. فحياه زهير، فأحسن الردَّ ناظرًا من مقلّةٍ شوساء، قد ملئت تيهًا وعجبًا. فعرفه زهير قصدي وألقى إليه رغبتى. فقال: بلغني أنه يتناول، قلت : للضرورة. الدافعة وإلا فالقريحة غير صادعة، والشفرة غير قاطعة، قال : فأنشدني، فأنشدته قصيدتي التي أولها.

أبرق بدا أم لمع أبيض قاصِل

حتى انتهيت فيها إلى قولي :

تردّدَ فيها البرقُ حتى حَسَبْتُهُ يشير إلى نجم الرُّبى بالأناملِ
رُبى نَسَجَتْ أيدي الغمام للنسها غلائل صغراً فوق بيض غلائل
سَهْرَتْ بها أرعى النجومَ وأنجماً طوالع للراعينَ عيَرَ أوافل
وقد فقرت فاهاً بها كل زهرة إلى كل خرعٍ للغمامة حافل ومرّت جيوشُ
المزَن زهواً كأنها عساكرُ زنجٍ مذهبات المناصل
وحلقت الخضراء في غرشبها كلجة بحرٍ كللت باليعال^(٦٠)

اتى الكاتب بالأبيات الشعرية السابقة مناسبة للموقف الذي هو عليه من المساجلة فضلاً عن البيت الذي جيء به وهذه السمة الادهاشية التشويقية تتجلى كثيراً في نصوص ابن شهيد الأندلسي ، لكي يثبت للمتلقى قدرته

وهذه السمة الادهاشية التشويقية تتجلى كثيراً في نصوص ابن شهيد الأندلسي ومن ذلك ما جاء في مقابله (صاحب امرئ القيس) إذ يقول :

"قال فبمن تريد أن نبدأ؟ قلت: الخطاب أولى بالتقديم ولكني إلى الشعراء ، ...، فقال حياك الله يا زهير، وحيًا صاحبك ! أهذا فتاهم ؟ قلت: هو هذا، وأي جمرةٍ يا عتبية! فقال لي: أنشد، فقلت: السيد أولى بالإنشاد . فتطامخ طرفه، واهتز عطفه، وقبض عنان الشقراء، وضربها بالسوط ، فسمت تحضر طولاً عنا، وكرّ فاستقبلنا بالصَّعدة هازاً لها، ثم جعل ينشد:

سما لك شوقٌ بعدما كان أقصرا

حتى أكملها ثم قال: أنشد . فهمت بالحیصة ، ثم اشتدت قوى نفسي وأنشدت :

شجته مغان من سليمى وأدورُ

حتى انتهيت:

ومن قبة لا يدرك الطرف رأسها
تكلفتها والليل قد جاش بحره
ومن تحت حضني أبيض ذو سفاسق
هُما صاحباي من لدن كنت يافعا
فذا جدول في الغمد تسقى به المنى
وذا غصن في الكف يجنى فيثمر
تزلُّ بها ريح الصبا فتحدّر
وقد جعلت امواجه تتكسر
وفي الكف عن عسالة الخط
مقيلان من جد الفتى حين يعثر

فلما انتهيت تأملني عتيبة ثم قال : أذهب فقد اجزتك وغاب عنا "(١١).

فقد قام الكاتب بتوظيف الأبيات الشعرية في ثنايا نصوصه النثرية فالاستدعاء الشعري عند ابن شهيد الأندلسي كان له غايتان الأولى رغبته الأدبية وكذلك له غاية شخصية كما له غاية فنية وتقنية نسقية لتجل السياق النصي والتشويق للأحداث من خلال البؤرة ، والغرض من هذا الاستدعاء أنباء عن ما يطمح الوصول إليه الكاتب في الحصول على نيل الاجازة والفدره على قول الشعر ، ولكي يثبت لنا ان المغرب العربي لا تقل شأناً عن المشرق العربي .

فالكاتب أشغل نصوصه النثرية بالحجج الشعرية محاولاً استثمارها .

٢. احياناً نجد في خطابه السردى الفاظاً او معاني تشير أو انها تحيل إلى بيت شعري ومن ذلك ما ورد في خطابه قائلاً :

" وقلت: ايستتوق الجمل(*)، ويتضع الكوكب، وتخف حصة العلم ويتضعع جبل العمل والعلم، ويكبوا جواد الهمم، وتزلُّ نعل الكرم، وتغلب الدنيا الدين، ويسطو الشك باليقين ؟ ثم تذكرت علمي بك "(١٢)

فاستنوق الجمل – يمثل جملة ثقافية وهنا استفهام أي ان الكاتب يستدرك قضية معينة، وهذا مثلاً عربياً فقام المتحدث بأطلاق صفة ما على الجمل وكانت هذه الصفة التي اطلقها تخص الناقبة وحدها وليس الجمل .

هذه الجملة الثقافية تشير أو انها تحيل إلى قول المسيب بن علس قائلاً: (٦٣)

وقد أتناس الهمَّ عندَّ اختضارهِ بناج عليه الصيغرية (***) مُكدم (***)

الصيغرية هي سمة توسمت بها النوق دون الفحول ،فقال طرفة : استنوق الجمل ، أي جعلت بقولك هذا الجمل ناقبة ، فضحك الناس منه وهزئوا به ، فقال الكميث مدحتكم فأفرطت في مدحك حتى جعلت المؤنث مذكراً، وصار قول طرفة مثلاً ، فقد ذكر الفاظاً ومعاني تحيل على أبيات شعر يريد الكاتب أن يظهر طاقاته وابداعاته وهنا ضمن الكاتب خطابه السردى بعض الالفاظ والمعاني الشعرية لكي يظهر طاقاته وقدرته الابداعية ، فاستنوق الجمل تمثل تهريب نسقي خرج في غير وعي الكاتب لكي يوصل للمتلقي ما أرادته .

وقال في موضع آخر :

"والذي استقبله من ذلك أكثر منّي: عليّ أن أهدي من ذلك لطيمة إلى جارتك القيروان، واخرى إلى حبيبك قلة بيت الرّحمن، بكلم عذب، ومساق رطب، يبكي الحجيح ويقدح نار العجيح، تحنّ له الرباب، وترق له الأعراب" (٦٤).

فقد وظف الكاتب بعض الالفاظ والمعاني الشعرية في خطابه السردى، فاللطيمة هي قطعة مسك ، يقال فارة مسك، قال الشاعر في لطيمة المسك:

فقلتُ: أعصاراً ترى في رجالنا ؟ وما إن يمو مائةٍ تباع اللطائم

اصبح تعبير الأديب واختياره لتلك الألفاظ فيه دلالة على عبقريته ونبوغه الشعري فهو يريد ان يظهر كل طاقاته الابداعية بقصد نيل الاجازة كما يريد ان يصل لطموحاته الادبية كل هذه الرغبات والطموحات

التي يعمل الكاتب على تحقيقها من اجل نيل الاجازة ، فقام الكاتب بربط النص الشعري بقوى غيبية حاول من خلالها تفسير القدرة الابداعية .

لقد استفاد ابن شهيد الأندلسي من الشعر العربي القديم فوظفه في خطابه السردى كذلك استفاد من ذائقته الشعرية مما جعل الشعر يقاسم نثره والشعر الذي جاء في ثنايا نصوصه النثرية يمثل نسق ثقافي (تهريب نسقي / جملة ثقافية) .

المبحث الثالث: الجملة الثقافية/ الأمثال والأقوال الحكمية:

والمثل عبارة قصة قصيرة موجزة يتداولها ما تدل على مغزى أخلاقي والمثل عبارة موجزة يتداولها الناس تتضمن فكرة حكمية مجال الحياة البشرية وتقلباتها، وتصاغ عادة بأسلوب مجازي يستميل الخيال ويسهل حفظه ، كما قيل إنه باب دقيق الصفة لطيف المغزى، فالعرب تأتي بـ(المثل) توكيداً للكلام وتثبيتاً لأمره".^(٦٤)

كما قال ابن الأثير: "إنّ العرب لم تضع الأمثال إلا لأسباب أوجبتها وحوادث اقتضتها فصار المثل المضروب لأمر من الأمور عندهم كالعلامة التي يعرف بها الشيء، وليس في كلامهم أوجز منها ولا أشدّ اختصاراً"^(٦٥)، أما العسكري فقد عرف (المثل) في كتابه (جمهرة الأمثال) : الأمثال: " عندما عرفت العرب ان الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام وتدخل في اساليب القول أخرجوا في أقواها من الالفاظ ليخفف استعمالها ، ويسهل تداولها ؛ فهي من أجل الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله ؛ لقلّة الفاظها ، وكثرة معانيها ويسير مؤونتها على المتكلم ، مع كبير عنايتها ".^(٦٦)

وأغلب الأمثلة التي أستشهد بها ابن شهيد الأندلسي وضمنها ضمن نصوصه النثرية السردية ، هي من النوع الموجز .

فالمثل " قول موجز ، ورد في حادثة ما، وذاع على ألسنة الناس، فأصبح يضرب في كل حالة شبه الحالة التي ورد فيها ... وقد يرتبط بقصة حقيقية أو خيالية أو حكايات رمزية على ألسنة الحيوان و الطير".^(٦٧)

ومن هنا ضربت الأمثال كثيرا في الخطاب السردى عند ابن شهيد الأندلسي :

- (البطنة تذهب الفطنة)^(٦٨)، ورد هذا المثل في موضع النصح والارشاد إذ يقول: "فأمرتُ الغلام بابتياح أرتال منها تجمع أنواعها التي أنطقته وتحتوي على ضرورها التي أضرعته، وجاء بها وسرنا إلى مكانٍ خالٍ طيبٍ ، كوصف المهلبي:

خانٌ تطيبُ لباعي النسكِ خلوتَهُ وفيه سترٌ على القتلاك إن فتكوا

فصّبها رطوبة الوقوع، كراديس كقطع الجدوع ؛ فجعل يقطع ويبلع، ويدخو فاه ويدفع، وعيناه تبصا كأنهما جمرتان، وقد برزتا على وجهه كأنهما خُصيتان، وأنا أقول له: على رسلك أبا فلان ! البطنة تذهبُ الفطنة " .^(٦٩)

ضرب هذا المثل في ذم المكثّر من الطعام ووجه هذا المثل للفقير الذي التهم . فالكاتب حافظ على معنى السياق الذي ورد فيه المثل ولكن أخضعه لموقفه الذي هو عليه ، البطنة لها تأثير معنوي وتأثير مادي فأنها تؤثر على الجسم ولذلك ضرب المثل (البطنة تذهب الفطنة) في ذم المكثّر من الطعام الشره الذي يشتد عليه واشتهاؤه له ولا يهمة إلا بطنه ، لكي يملأها بصنوف الطعام ومن جانب آخر تكون استهجاناً عن طريق السخرية والتندر بالمكثّر الشره فالوظيفة النسقية المضمرة في هذا الخطاب هي وظيفة اجتماعية وهذا وجه آخر على ما غير ما تعارف عليه من وجوه تصوير الفقيه ، اذا جاء هذا التصور لإظهار بعض الصفات المذمومة والتي تخفى على العامة لقصور فهمهم .

وفي موضع آخر قال :

(وافق شن العلم طبقه)^(٧٠) ضرب هذا المثل في سياق ضرب العلم قائلاً :

" كنت أيام كتاب الهجاء، أجنّ إلى الأدباء، وأصبوا إلى تأليف الكلام؛ فاتبعت الدّواوين، وجلستُ إلى الأساتيد، فنبض لي عرق الفهم، ودّر لي شريان العلم، بموادّ روحانية؛ وقليل الالتماح من النظر يزيدني، ويسيرُ المطالعة من الكتبِ يفيدني ، إذ صادف شنّ العلم طبقه " .^(٧١)

جاء المثل جزءاً من بنية النص ودلالاته أي هو جزء لا يتجزأ، و ابن شهيد الأندلسي وظف المثل لخدمة فكرته ورغبته .

وأصبح توظيف المثل عند الكاتب لازمة من لوازم النص السردى، فهو مثل يضرب للشئيين المتوافقين، حيث اخضع المثل لموقفه الخاص والذي يريد أن يشرح من خلاله اسباب تفوقه وعبقريته لصديقه ابن حزم .

أصل المثل وافق شن العلم طبقه وعندما أضاف ابن شهيد الأندلسي كلمة (العلم) غير في مسار اتجاه حكاية المثل فهنا كسر النسق ووضع كلمة العلم من اجل قضية معينة ، ويقصد بالعلم المجهود العلمي الذي يهدف إلى فائدة العلم والمتعلمين. وهذه الاضافة هي من إضافات ابن شهيد الأندلسي ويضرب هذا المثل فيمن يجمع بينهما توافق وتشابه .

وضرب هذا المثل في سياق الحديث عن نفسه دون أن يشعر القارئ أن ثمة تكلفاً ومعاناة في استقباله الفطري لمواد العلم ، فهو يعتقد أنه والعلم صنوان لا يفترقان " فاللغة هي المحور الرئيسي لخلق المعاني المركبة داخل النصوص وهي وسيلة فعالة في نقل الأفكار الراسخة اجتماعياً"^(٧٢).

ب . وهناك نمط آخر للمثل ترد لفظه واحدة ويريد بها الالماح إذ يقول :

ويح الكتابة من شيخ هبنقة

يلقى العيون برأس

ومنتن الريح إن ناحيته أبدأ

كأنما مات في خيشومه فأز^(٧٣)

لم يستخدم الكاتب المثل كاملاً بل ورد لفظه ويريد الالماح لها ، فالكاتب حافظ على معنى المثل وأبقى كلمة دالة عليه ألا وهي (هبنقة) فهو مثل يضرب في الحمق وشدة الغباء، و أصله (أحمق من هبنقة).^(٧٤)

وظف ابن شهيد الأندلسي هذا المثل عند لقاء الكاتب لبغلة من حيوان الجن والتي تسمى (بغلة أبي عيسى) وهي رمز للحمق والغباء والبلادة ، شبههم الكاتب بهذه البغلة في حمقهم وقلة فهمهم وغباءهم فتقول العرب في أمثالها : فلان أحمق من هبنقة؛ وذلك عندما يبلغ بها حال مراتب متقدمة لوصف سوء التصرف والعاقبة . ويضرب هذا المثل لمن يلبس شيئاً دون قدره وعمره ، أو من كبر عن شيء . وقال ابن شهيد الأندلسي :

"وقال عليّ رضي الله عنه: قيمة كلّ امرئ ما يحسن، وقال: المرء مخبوء تحت لسانه، ولذلك كانت الملوك تعدل بينها عن التتعم إلى شطف العيش". (٧٥)

لقد وظف الكاتب في خطابه السردى قولاً للأمام علي عليه السلام : (المرء مخبوء تحت لسانه) يمثل جملة ثقافية بمعنى إذا تكلم ظهر فإذا اضمر احد شيئاً إلا وظهر في فلتات لسانه وكذلك وظف الكاتب حكمة في خطابه السردى بقوله (قيمة كل امرئ ما يحسن) لغرض تجميل السياق في الخطاب السردى وهذه حكمة تشير على وزن العالم ، وتكشف عن سمو مقامه وهذه جملة ثقافية مفعمة بالحكمة والكرامة والتنوع .

وخاصة القول تُعدّ الأمثال والأقوال الحكيمة من الروافد التراثية والثقافية التي هيمنت في الخطاب السردى عند ابن شهيد الأندلسى التي غدت النسيج السردى لابن شهيد الأندلسى وأثرته إياه ، فراحت تلك الأمثال والأقوال الحكيمة تتسلل إليه تلقائياً وقد أوحى بها الطبع مرة ، ومرة اخرى كانت مقصودة ضمنها لتلبية مقام أو لبيان سعة رصيده الثقافى الذي امتاز به الخطاب السردى في مستوياته المعرفية والأمثال التي وظفها الكاتب في خطابه السردى جاءت مناسبة للسياق والموقف الذي عليه .

الخاتمة:

نستطيع ان نسجل اهم النتائج التي توصل اليها البحث بما يلي :

- ١- يكمن الفرق بين (الدراسات الثقافية والنقد الثقافى) فالمصطلح الأول يطلق مجمل الدراسات الوظيفية والتحليلية والنظرية والنقدية بينما يشير مصطلح النقد الثقافى الى هوية المنهج فتكون الدراسات الثقافية اعم واشمل من النقد الثقافى اذ يندرج تحت مظلتها الأنساق الثقافية والنقد الثقافى .
- ٢- للكاتب مرجعيات ثقافية عدة منها القرآن الكريم والشعر والأمثال والأقوال الحكيمة.
- ٣- لقد هيمنت الجملة الثقافية في الخطاب السردى عند ابن شهيد الأندلسى اذ شكلت حيزا كبيرا واخذت شكل التناوب في الخطاب السردى .
- ٤- مثلت الجملة الثقافية في القرآن الكريم خطاباً دينياً وبلاغياً .

٥- جاء توظيف ابن شهيد الأندلسي لنصوص القرآنية في خطابه السردى بأشكال مختلفة منها ما جاء في شكل استشهاد وأخرى في شكل قصة قرآنية وذلك امتداداً لجملة ثقافية ورقياً بالأسلوب وتدعيماً لرأى وهذا يمثل جملة ثقافية .

٦- هيمن الشعر في الخطاب السردى عند ابن شهيد الأندلسي أذ يعد خطاباً ثقافياً و يمثل الشعر جملة ثقافية فوظفه ابن شهيد الأندلسي في ثنايا نصوصه النظرية كونه يعد امتداداً لجملة ثقافية ولغرض تمتين خطابه السردى وتقوية المعنى ونيل الاجازة وبيان مقدرته الشعرية .

٧- شكلت الجملة الثقافية المتمثلة بالأمثال والأقوال الحكمية خطاباً ثقافياً حيث وظفها الكاتب بأشكال مختلفة فمرة يأتي بالمثل كما هو ومرة أخرى يرد لفظة واحدة ويريد بها الالماح وأخرى يغير في مسار اتجاه الحكاية وذلك لغرض خدمة خطابه السردى .

الهوامش:

١. لسان العرب: مادة: سرد: ١٦٥/٧.
- ٢- ينظر : معجم مصطلحات نقد الرواية : ١٠٥ .
- ٣- ينظر: السرد العربى القديم الأنواع والوظائف والبنىات : ٣٢.
- ٤- ينظر: معجم السرديات: ٤٥٧.
- ٥- ينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية : ٩٠ .
- ٦- البنية السردية والخطاب السردى في الرواية ٣٤-٣٥.
- ٧- ينظر: موسوعة السرد العربى : ١١٨.
- ٨- الكلام والخبر مقدمة للسرد العربى : ١٩.
- ٩- ينظر: تداولية الخطاب السردى : ٢٢.
- ١٠- ينظر: المرجعيات المعرفية للنقد الثقافى عند عبد الله الغدامى : ٢٠.
- ١١- النظرية الثقافية : ٩ ، وينظر: معالم عن طريق تحديث الفكر : ٣٣.
- ١٢- ملاحظات نحو تعريف الثقافة : ٢٩.
- ١٣- مشكلة الثقافة : ٧٤.

- ١٤- ينظر: مشروع الحداثة الشعرية - العراق : ٩.
- ١٥- ينظر: النقد الثقافي بين المطرقة والسندان : . www.diwanalarab.com/spip2article.
- ١٦- ينظر: نفسه .
- ١٧- ينظر مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن : ٣٣.
- ١٨- ينظر: نفسه: ٣٤.
- ١٩- ينظر : النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينيات الأمريكي : ١٠٥.
- ٢٠- ينظر : نفسه : ١٠٤.
- ٢١- ينظر: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن: ١١، ينظر : المرجعيات المعرفية : ٢٥.
- ٢٢- السرد العربي القديم الأنساق الثقافية واشكاليات التأويل : ٥١٨-٥١٩.
- ٢٣- النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الأساسية : ٤.
- ٢٤- النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية: ٨٣-٨٤.
- ٢٥- ينظر: النقد قراءة في الأنساق الثقافية: ٣١، ينظر: مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة : ١٤٩.
- ٢٦- نفسه: ٣٢.
- ٢٧- النظرية والنقد الثقافي: ١٢.
- ٢٨- دليل الناقد الأدبي: ٣٠٥.
- ٢٩- ينظر : النقد الثقافي قراءة في الانساق الثقافية : ٣٢.
- ٣٠- طبقات فحولة الشعراء: ٥.
- ٣١- ينظر: نقد ثقافي ام نقد أدبي: ١٦٧، وينظر: النقد الثقافي من النص الى الخطاب : ٣٤.
- ٣٢- جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً: ٣٥.
- ٣٣- النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب : ٣٤-٣٥.
- ٣٤- ينظر: المطابقة والاختلاف : ٥٤٠.
- ٣٥- النقد الثقافي من النسق الثقافي إلى الرؤيا الثقافية: ٣٤.
- ٣٦- النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية : ٧٣.
- ٣٧- نفسه: ٧٤.
- ٣٨- مرأى وشرفه دراسات في النقد الروائي: ٥٨.

- ٣٩- نقد ثقافي ام نقد ادبي: ٢٨.
- ٤٠- النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية: ٧٤.
- ٤١- فضاءات النقد الثقافي: ٣٧.
- ٤٢- علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز: ٨٦.
- ٤٣- الجملة والخطاب قراءة في علوم القرآن: مقال/نت.
- ٤٤- ينظر: النقد الثقافي بين المطرقة والسندان: مقال/نت.
- ٤٥- سورة البقرة: ٦٥-٦٦.
- ٤٦- ديوان ابن شهيد الأندلسي: ١٦٧.
- ٤٧- ينظر: مجمع البيان: ٢٦٢/١.
- ٤٨- الذخيرة: ١٢٩/١.
- ٤٩- سورة الأنسان: ١٩.
- ٥٠- سورة الرحمن: ١-٤.
- ٥١- ديوان ابن شهيد الأندلسي ورسائله: ٢١٢.
- ٥٢- ينظر: المرجعيات الثقافية: ٤٧-٤٨.
- ٥٣- سورة البقرة: ٢٥٨.
- ٥٤- سورة البقرة: ٢٥٨.
- ٥٥- ديوان ابن شهيد الأندلسي: ٢٢٥.
- ٥٦- رسالة التوابع والزوابع:
- ٥٧- سورة مريم: ٢٥.
- ٥٨- الأنساق الثقافية في ادب الوهراني: ١٦٢.
- ٥٩- رسالة التوابع والزوابع: ١١١-١١٢.
- ٦٠- نفسه: ٨٨.
- ٦١- ديوان ابن شهيد الأندلسي ورسائله: ١٦٦.
- ٦٢- ديوان ابن علس: ١٢٧.

- (*) الصيعرية : من سمات النوق دون الجمال . وجمل منوق : ذلول حتى قيل انه صُير كالناقة : انظر: لسان العرب : نوق : ١٤ / ٣٨٨ .
- (***) مكمم : غليظ شديد : نفسه : (كدم) : المعجم الوسيط : ٧٨٠ .
- ٦٣- رسالة التوابع والزواج:
- ٦٤- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : ٣٣٢ .
- ٦٥- المثل السائر : ٤١/١ .
- ٦٦- جمهرة الامثال : ٩/١ .
- ٦٧- نفسه: ٣٢١ / ٢ .
- ٦٨- مجمع الأمثال: ١١٢/١ .
- ٦٩- الذخيرة: ١٥٢/١ ، التوابع والزواج: ١١٧ .
- ٧٠- مجمع الأمثال: ٣٢١/٢ .
- ٧١- رسالة التوابع والزواج: ٨٨ .
- ٧٢- المفارقة في رسالة التوابع والزواج: ١١٢ .
- ٧٣- مجمع الامثال: ٢٢١ .
- ٧٤- نفسه: ٢٢٧/١ .
- ٧٥- ديوان ابن شهيد الاندلسي ورسائله: ١٧٤ .

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ م .
- المثل السائر ، ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبع بمطبعة مصطفى بابي الحلبي .
- النظرية والنقد الثقافي - الكتابة في عالم متغير - واقعها سياقاتها وبنائها الشعرية - محسن جاسم الموسوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .
- النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينات : تأليف فنسنت لينش محمد يحيى ، مراجعة وتقديم : ماهر شفيق فريد المجلس الأعلى للثقافة : ٢٠٠٠ .

- النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية ، آرثر ايزابجر ترجمة : وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي ، القاهرة - مصر ط ١ ، ٢٠٠٣م.
- النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي - العراق انموذجاً ، عبد الرحمن عبدالله ، دار الشؤون الثقافية - بغداد ، ط ١ ، ٢٠١٣م.
- النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب : د . سمير الخليل ، دار الجواهري، لبنان - بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٢م.
- جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي انموذجاً : د. يوسف عليجات ، دار الفارس للنشر والتوزيع ،الأردن، ط ١ ، ٢٠٠٤م.
- جمهرة الأمثال : أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري ، ضبط هوامشه : أحمد عبد السلام ، خرج أحاديثه : أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٨م.
- دليل الناقد الأدبي : د. ميجان الرويلي د. سعد البازعي ، الدار البيضاء - المغرب ، بيروت - لبنان ، ط ٣ ، ٢٠٠٣م.
- ديوان ابن شهيد الأندلسي : جمعه وحققه يعقوب زكي ، راجعه الدكتور محمود على مكي ، دار الكاتب العربي ، القاهرة
- ديوان ابن شهيد الأندلسي ورسائله : جمعه وحققه وشرحه الدكتور محي الدين ديب ، المكتبة العصرية ، دار البنود جية ، صيدا - بيروت ٢٠٠٢ م .
- ديوان المسيب بن علس : جمع وتحقيق د. عبد الرحمن محمد الوصيفي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٣م .
- رسالة التوابع والزوابع : لأبن شهيد الأندلسي ، صححها وحقق ما فيها : بطرس البستاني ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- فضاءات النقد الثقافي من النص إلى الخطاب : د. سمير الخليل ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠١٤م.
- لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط ٧ ، ١٩٩٧م .
- مجمع الأمثال : لأبي الفضل احمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني (ت ٥١٨هـ) ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٩٥٥م.
- مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن ، أ. د. حفناوي بعلي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط ٧ ، ٢٠٠٧م.
- مسارات النقد ومدارات مابعد الحداثة في ترويض النص وتقويض الخطاب: أ.د. حفناوي بعلي رشيد بعلي : عمان - وسط البلد ، ط ١ ، ٢٠١١م.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة وكامل المهندس ، مكتبة لبنان للطبع ، ط ١ ، ١٩٨٤م.
- المعجم الوسيط : ، أخرجه : إبراهيم أنيس وآخرون ، أشرف عليه : حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين ، دار المعارف

- (مجمع اللغة العربية). مصر ، ط٢ ، ١٩٧٢م.
- ملاحظات نحو تعريف الثقافة ، ت . س . إليوت ، ترجمة وتقديم ، د. شكرى محمد عياد ، مراجعة : عثمان نوية ، د. ط
- موسوعة السرد العربي ، د. عبدالله إبراهيم ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، الأردن ، د. ط ، ٢٠٠٨م.
- نقد ثقافي ام نقد أدبي ، د. عبدالله الغدامي و د. عبدالنبي اصطيف ، دار الفكر ، دمشق ، د. ط ، ٢٠٠٤م.
- النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، عبد الله الغدامي ، المركز الثقافي العربي ، - المغرب ، ط٥ ، ٢٠١٢م .
- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة : تأليف أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني المتوفى سنة ٥٤٢هـ ، تحقيق : سالم مصطفى البدرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- السرد العربي القديم الانساق الثقافية واشكاليات التاويل ، د. ضياء الكعبي ، دار الفارس ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٥م.
- السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنىات ، إبراهيم الصحراوي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠٠٨م.
- العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تأليف أبى على الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ - ٤٦٣هـ) ط١ ، بيروت .
- الرسائل والأطاريح :
- المرجعيات المعرفية للنقد الثقافي عند عبدالله الغدامي ، رسالة ماجستير ، اعداد الطالبة : نعيمة اقزين ، بإشراف : د. علي بخوش ، جامعة محمد خيضر - بسكرة - كلية الآداب ، ٢٠١٥م / ٢٠١٦م.
- تداولية الخطاب السردى بين القديم والحديث ، أطروحة دكتوراه ، اعداد الطالبة : دحمون كاهنة ، بأشراف : آمنة بلعلى ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، ٢٣/١٠/٢٠١٤م.
- مشروع الحداثة الشعرية في العراق في اطار النقد الثقافي (أطروحة دكتوراه) كريم شغيدل مطرود ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٨م .
- المجلات والدوريات :
- البنية السردية والخطاب السردى في الرواية ، د. سحر شبيب ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ، فصلية محكمة ، العدد الرابع عشر ، صيف ١٣٩٢هـ / ٢٠١٣م.
- المفارقة في رسالة التوابع والزوابع دراسة نصية : د. هاشم العزام ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، مجلد ١٦ ، عدد ٢٨ ، شوال ١٤٢٤هـ .
- النقد الثقافي بين المطرقة والسندان ، بقلم جميل حمداوي : www.diwanalarab.com/spip.php?article31174